

# شرح الأصول الثلاثة

للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -

الدرس الأول

لفضيلة الشيخ

حامد بن خميس الجنيبي

في إطار سلسلة التأسيس العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد فأسأل الله - سبحانه وتعالى - التيسير والسداد والتوفيق وأن يخلص أعمالنا

لوجهه الكريم وهذا هو المجلس الثاني من مجالس التعليق على رسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - عليه رحمة الله تعالى -، رسالة الأصول الثلاثة، وبالأمس كنا قد تكلمنا على بداية رسالة المؤلف - رحمه الله تعالى -، ولكن لعلّي أن أعيد التعليق مرّة أخرى على هذه الرسالة لمشاكل الاتصال التي حصلت بالأمس، فلعلّنا إن شاء الله أن نعيد مرّة أخرى الدرس بحول الله - سبحانه وتعالى -، يعني أعيد التعليق لكن إن شاء الله لا أفصل في التعليق كثيراً إن شاء الله - عزّ وجلّ -. فنقول المؤلف - عليه رحمة الله تعالى - ابتدأ هذه الرسالة بذكر هذه المسائل الأربع التي كنا قد علّقنا عليها بالأمس؛ علّقنا على بدايتها، على المسألة الأولى، فنقول بعون الله - سبحانه وتعالى -: أوّلًا ابتدأ المصنّف عليه - رحمة الله تعالى -، طبعًا كما ذكرت كان من المقرر أنّ الإخوة يقرؤون لكن لأجل المشكلة في الاتصال لعلّي أنا أقرأ أيضًا وأعلّق بحول الله - سبحانه وتعالى -.

يقول المصنّف - عليه رحمة الله تعالى -:

[المتن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ.

[الشرح]

والبسملة سنعيد ذكر شيء من مسائل البسملة التي ذكرناها بالأمس، البسملة قولنا "بسم الله"، الأصل فيها -في قولنا "بسم"- أن تُكتب كلمة "اسم" بألفٍ في أولها، الأصل فيها أن تُكتب كلمة "اسم" بألف في أولها، و كما في قوله -عز وجل-: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>1</sup> كما في رسم المصحف، وقد حُذفت الألف في الكتابة لأنها لا تظهر في اللفظ. وقال بعض أهل العلم: إنما حُذفت لأجل التخفيف.

و"الله": هذا الاسم لفظ الجلالة أصله الإله، وقد تركوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في اللام الثانية فصارت لامًا مشددة. وهذا اللفظ لفظ الجلالة "الله": المعبود محبةً وتعظيمًا هذا معناه، أنا أنبه على أن لفظ الجلالة هذه الكلمة، البعض يتحرّز من هذه اللفظة. وعمومًا هذه الكلمة كلمة "الله" هي بمعنى المعبود محبةً وتعظيمًا، وهو علمٌ على الله -سبحانه وتعالى- لا يجوز إطلاقه على غيره، وهو كما ذكرنا بالأمس هو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء ومعنى ذلك أننا نقول: العظيم من أسماء الله، ولا نقول الله من أسماء العظيم، وكذلك نقول: الرحيم من أسماء الله، ولا نقول: الله من أسماء الرحيم، وكذا في سائر الأسماء الحسنى، فكل الأسماء الحسنى تابعة لهذه الكلمة، وهي قولنا الله، وكنا قد سألنا بالأمس عن أصل كلمة اللهم، اللهم: كما ذكرنا أن معناها يا الله، والميم المشددة التي في آخر الكلمة هي بدل من يا النداء يا الله، هكذا قال بعض أهل اللغة، وهذا منسوب إلي سيبويه والخليل، وذكر بعض أهل العلم أن أصل الكلمة: يا الله أم بخير، يعني اقصدنا بخير، هذه هنا ذكرتها فقط لأجل أننا سألنا عنها البارحة فأشير إليها إشارة.

<sup>1</sup> [العلق: 1]

"الرحمن": هو ذو الرحمة الواسعة - سبحانه وتعالى - وبعبارة أخرى نقول: هو الموصوف بالرحمة الواسعة، وذلك أن لفظ رحمان على وزن فعلان، وهذا الوزن يفيد المبالغة، واسم الرحمان اسم خاص بالله - عز وجل - لا يجوز إطلاقه على غيره.

وأما "الرحيم": فهو ذو الرحمة الواصلة، ويجوز إطلاقه على غيره - سبحانه وتعالى -، ولكن كما ذكرنا بالأمس أن هذا الإطلاق يكون بما يليق بالعبد ومكانته في مقابل مكانة الرب الجليل - عز وجل - . وهنا إشارة أشير إليها وهي أنه قد ذهب بعض أهل العلم إلى أن اختصاص اسم الرحيم هو بالمؤمنين، أن لفظ "الرحيم"، قولنا "الرحيم" ذكر بعض أهل العلم أنه خاص بالمؤمنين، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>2</sup>، وقالوا: لم يجيء في القرآن لفظ "الرحيم" لغير المؤمنين، وهذا الإطلاق فيما يظهر - والله أعلم - فيه نظر لأنه قد جاء في القرآن هذا اللفظ لجميع الناس كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>3</sup> كما في سورة البقرة، وسورة الحج.

ثم قال المصنف - رحمه الله تعالى -:

[المتن]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعْلُمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ.

[الشرح]

<sup>2</sup> [الأحزاب: 43]

<sup>3</sup> [البقرة/143] و[الحج: 65]

وقوله "اعلم": العلم يشمل ما كان إدراكه مبنيًا على اليقين، وكذلك ما كان إدراكه مبنيًا على غلبة الظن. العلم يشمل ما كان إدراكه مبنيًا على اليقين يعني لا شك فيه، ما كان إدراكه مبنيًا على أمر لا شك فيه، وكذلك ما كان إدراكه مبنيًا على غلبة الظن، وهذا على الراجح من أقوال أهل العلم وليس هذا مجال تفصيل ذلك، ولذلك يطلق عليه بعض أهل العلم بأنه معرفة الهدى بدليله.

قوله "رحمك الله": الرحمة في اللغة هي الرقة والعطف، والمراد هنا: أفاض الله عليك من مغفرته.

وقوله "أنه يجب علينا": وكما ذكرنا الوجوب هو طلب امتثال الأمر على سبيل الإلزام، فمن طلب منك أمرًا على سبيل الوجوب فإنه يُلزمك بفعل هذا الأمر وامتثال ما أَراده منك على الوجه الذي أَراد، فلستَ مخيرًا في فعله أو في تركه هذا معنى الوجوب في الشرع.

وقوله "علينا": يعني على معشر المكلفين من الإنس والجن، صغارًا وكبارًا، ذكورًا وإناثًا، وسيأتي ذكر شيء من ذلك إن شاء الله على سبيل الاختصار فيما يتعلق بالصغار وغيرهم إن شاء الله.

قوله "تعلم أربع مسائل": هذه الأربع مسائل وجوبها على المكلفين يتفاوت بحسب تفاوتهم في توفر الشروط وانتفاء الموانع، فقد يتوفر في شخص من الأسباب والشروط ما يجعله مكلفًا بأمر، ولا يتوفر في غيره من هذه الأسباب مما لا يجعله مكلفًا بهذا الأمر، كأن يكون الإنسان عنده مال قد بلغ نصابًا وحال عليه الحال فيجب عليه الزكاة أو تجب عليه الزكاة، بينما رجل آخر فقير معدم فلا تجب عليه الزكاة، فالأول مطالب بتعلم أحكام الزكاة في هذا المال، والآخر غير مطالب بتعلم أحكام الزكاة، والمسألة فيها تفصيل. وأما بالنسبة للصغار فإننا نقول حديث

النبى صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يَمَجِّسَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ"، والفترة هي شريعة التوحيد لله - عز وجل - وقد جاء في قول الله - عز وجل - ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾<sup>4</sup> وهذه الفترة هي التوحيد، توحيد الله - عز وجل - وإفراده - سبحانه - بالعبادة، وهؤلاء الصغار لا يُطالَبون إذا نشؤوا تحت أبوين مسلمين، إذا نشأ الصغير تحت أبوين مسلمين لا يطالب بعد البلوغ بإعادة توحيدِهِ وإيمانه كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة بخلاف أهل البدع والأهواء من أهل الكلام.

وهذه المسائل الأربع دل الشرع الحنيف على وجوبها على المكلفين، والمصنف - رحمه الله تعالى - قد استفادها من كلام العلامة الإمام شيخ الإسلام الثاني ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه القيم "زاد المعاد في هدي خير العباد"، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه زاد المعاد قال: "فجهاد النفس أربع مراتب:

- إحداهما: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقي في الدارين"، وهذه المسألة الأولى هي التي ذكرها المؤلف - رحمه الله تعالى - في قوله: "الأولى العلم".
- ثم قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: "الثانية أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها"، وهذه هي التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - في قوله: "الثانية العمل به".
- الثالثة: "أن يجاهدها على الدعوة إليه"، أنا الآن أذكر كلام ابن القيم - عليه رحمة الله تعالى - يقول ابن القيم: "الثالثة أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه

<sup>4</sup> [الروم: 30]

من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله"، وهذه أيضا المسألة التي ذكرها المصنف -رحمه الله تعالى- في قوله: "الثالثة الدعوة إليه".

● الرابعة قال: "أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله"، وهذه هي التي ذكرها المصنف -رحمه الله- بقوله: "الرابعة الصبر على الأذى فيه"، ونأتي الآن إلى التفصيل في ذكر هذه المسائل الأربع.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- في ذكر هذه المسائل الأربعة:

[المتن]

الأوّل: العِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

[الشرح]

تكلّمنا على العلم وقلنا أن العلم يشمل الأمور اليقينية، والأمور التي تغلب على ظن العبد، على تفصيل طبعاً في ذلك ليس هذا هو مقامه، ومعرفة الله -عز وجل- هي بأربعة أمور وهي:

1. الإيمان بوجود الله -عز وجل-.

2. والثاني: هو الإيمان بالوهمية الرب -جل جلاله وعظم سلطانه-، الإيمان بالوهمية الله -عز وجل-.

3. الثالث: الإيمان بربوبية الله -عز وجل- وطبعا الألوهية هي إفراد الله -عز وجل- بالعبادة، وأما توحيد الربوبية هي إفراد الله -عز وجل- بأفعاله، وبعض أهل العلم يعبر عنها بقوله: هو إفراد الله -عز وجل- بالخلق والملك والتدبير.

4. وأما الأخيرة أو المسألة الرابعة: هو إفراد الله -عز وجل- في أسمائه وصفاته، أو الإيمان بأسماء الله وصفاته.

بعبارة أخرى نقول: الأمر الأول هو الإيمان بالله أو بوجود الله. الأمر الثاني الإيمان بألوهية الله -عز وجل-، والألوهية هي إفراد الله بالعبادة. والأمر الثالث هو الإيمان بربوبية الله -عز وجل-، وكما قلنا هو إفراد الله -عز وجل- بأفعاله. الرابع والأخير هو الإيمان بأسماء الله وصفاته، بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والإيمان بالأسماء والصفات هو إفراد الله -عز وجل- بما يستحقه من الأسماء والصفات، والإيمان بها، واعتقادها من غير تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

والتكييف: هو أن ننسب إلى الرب -عز وجل- كيفيةً نتصورها بأذهاننا فنقول: صفة الله -عز وجل- على هذه الكيفية، هذا هو التكييف.

وأما التعطيل: هو أن ننفي صفة من صفات الله -عز وجل-.

وأما التحريف: فهو أن نجعل هذه الصفة لها معنى آخر غير المعنى الذي يريد الله -عز وجل-، فنأتي إلى صفة من صفات الله -عز وجل- ونقول: لا ليس هذا معناها بل معناها كذا فقط، من غير برهان ولا دليل من الشرع نصرف هذه الصفة عن معناها.

وأما التمثيل: وهو جعل العبد للرب -عز وجل- مشابهاً للمخلوق فيقول: يد الله كيد العبد -عياذا بالله- أو نحو هذه المشابهات والمماثلات التي يماثل بها البعض. وهذه كلها



موجودة بين من ينتسب إلى الإسلام إلى هذا اليوم، وأما أهل السنة فليس عندهم شيء من هذه الأربع، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في مكانه بحول الله -عز وجل-.

ثم قال -رحمه الله-:

[المتن]

وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ.

[الشرح]

ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم عندنا لابد من بيان أمر مهم أولاً لابد من ذكره: وهو أن معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، هنا ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- قوله بالأدلة وقوله بالأدلة راجع في ما يظهر لي والله أعلم إلى هذه الثلاث المعارف: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام، بالأدلة راجع إلى هذه الثلاث، وهذه الأدلة التي يطالب بها العبد في هذه المعارف الثلاث ليس المراد هنا أن يعرف الإنسان كل شيء أو كل مسألة بدليلها، فإن الناس منهم العالم، ومنهم المقلد، فقد يقلد الرجل أو العبد عالماً من العلماء ويسلم بذلك وتبرأ ذمته إذا كان يصح من مثله أن يقلد، لأن هنالك بعض الناس لا يصح من مثلهم أن يقلد العلماء لأنه عنده من العلم ما يؤهله لاستنباط الأحكام الشرعية. فقول المؤلف -رحمه الله تعالى- بالأدلة راجع إلى هذه المعارف الثلاث، ولكن كما ذكرنا أن الناس يتفاوتون في ذلك فلا نفهم هذه المسألة على إطلاقها. وأهل السنة يقولون كما هي عقيدة أهل السنة: إن إيمان المقلد يصح، إن إيمان المقلد صحيح، لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة، إذا قلد من هو أهل للتقليد.

قال -رحمه الله تعالى-: "ومعرفة نبيه"، ونبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله -عز وجل- خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وسيد ولد آدم يوم القيمة بلا فخر صلى الله عليه وسلم. وكل الطرق مسدودة على العبد إلى الله -عز وجل- إلا طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من أراد الوصول إلى ربه -سبحانه وتعالى- فوصوله منقطع دون سلوك هذا الطريق عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. هو الذي جاء بالشرع، وهو الذي جاء بدين الإسلام. واتباع النبي صلى الله عليه وسلم هو من دليل محبة العبد لله -عز وجل- أولاً، ثم من دليل محبته للنبي صلى الله عليه وسلم ثانياً. وذلك أن محبة الله -عز وجل- تستلزم من العبد طاعته -عز وجل- فيما أمر، والعمل بشرعه. وأما محبة النبي صلى الله عليه وسلم تستلزم من العبد أن لا يعمل عملاً لم يأتي من طريق النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وسيأتي شيء من التفصيل في ذلك إن شاء الله لاحقاً عند كلامنا على الأصول الثلاثة إن شاء الله فيما بعد.

### [المتن]

قال: وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

### [الشرح]

ومعرفة دين الإسلام لا بد أن يعلم العبد دينه وعلى أي دين هو، وهذه المسائل الثلاث أو هذه المعارف الثلاث هي الأصول الثلاثة التي ألف المؤلف الرسالة من أجلها، وهذه المعارف الثلاث هي التي يسأل عنها العبد في قبره، إذا مات وإذا دفن فإنه يسأل من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيسأل عن هذه المعارف الثلاث، فمن كان قد التزمها في الدنيا فإنه يجيب بحول الله -عز وجل- في قبره بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

والإسلام: هو الاستسلام والانقياد لله -عز وجل-، وهذا الانقياد لله -عز وجل- في دين الإسلام يكون كما قال المؤلف بالأدلة، فليس كل ما يُذكر عن الإسلام فهو من الإسلام، ولكن الإسلام ما جاء عن الله -عز وجل- من طريق نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، وسيأتي إن شاء الله مزيد تفصيل في ذكر هذه الثلاث وبيان الفروق في الإسلام الشرعي والإسلام الكوني، والإسلام الخاص والإسلام العام، إن شاء الله سيأتي عند ذكرنا للأصول الثلاثة إن شاء الله في شرح الأصول الثلاثة.

ثم قال -رحمه الله تعالى-:

[المتن]

الثَّانِيَّةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

[الشرح]

والعمل بالعلم هو الذي يكون به نجاة العبد يوم القيامة بحول الله -عز وجل-، والعلم بلا عمل يفضي بصاحبه -والعياذ بالله- إلى عذاب الله -عز وجل-، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة الصحيح أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة؛ وذكر منهم عالم أو قال قارئ للقرآن فيأتي به ويُقال له: ماذا عملت؟ فيقول: يا ربّي فيك علّمت القرآن وتعلّمت، فيقال له: كذبت، فيلقى في نار جهنم -عياذاً بالله- وكان أبو هريرة -رضي الله عنه- إذا حدث بهذا الحديث بكى -رضي الله عنه- حتى يُغشى عليه -رضي الله عنه- خوفاً ووجلًا -رضي الله عنه-، لأنه كان يحدث بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ويخشى أن يكون ممن لا يعمل بهذا العلم. فقال المصنف -رحمه الله-: الثانية العمل به، أي العمل بهذا العلم الذي تعلمه العبد، فالضمير في قوله "به" راجع إلى قوله "العلم" فلا بد من العمل بالعلم، والعمل

بالعلم هو الذي يُورث خشية الله -عز وجل-، فليس كل علم يورث الخشية من الله -عز وجل-، ولكن العلم الذي يُورث من العبد العمل، كل علم يورث العمل فهو مقرب إلى الله -عز وجل-، والعلم الذي لا يورث العمل هو مباحث عن الله -عز وجل-، والله -سبحانه وتعالى- قد قال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>5</sup> ، ولذلك قد جاء في قول الله -عز وجل- قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾<sup>6</sup> فمن اهتدى بهدي القرآن والسنة، وعمل بهدي القرآن والسنة، يزيده ربه -عز وجل- فضلا منه وكرما زيادة من الهدى وزيادة من التقوى ويؤتيه التقوى. وأيضا قال الله -عز وجل-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾<sup>7</sup> أولا قال -سبحانه وتعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾<sup>8</sup> فمن أعطى، واتقى، هذه أعمال: أعطى، واتقى، وصدق بالحسنى، هذه كلها أعمال سواء كانت أعمال جوارح أو أعمال قلوب، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾<sup>9</sup> فمن عمل الأعمال الصالحة ييسر له ربه -عز وجل- الازدياد من الأعمال الصالحة -عز وجل-، وفي مقابل ذلك من ترك العمل بالعلم يورثه ربه -عز وجل- البعد عنه، وكذلك يورثه -عياذا بالله- عدم التوفيق إلى

5 [فاطر: 28]

6 [محمد: 17]

7 [الليل: 5، 6، 7]

8 [الليل: 5، 6، 7]

9 [الليل: 5، 6، 7، 8، 9، 10]

فعل الطاعات، بل يكله إلى نفسه، فنجدّه -هذا العبد- يتقلب من معصية إلى معصية كما ذكرنا في قول الله ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ \* فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾<sup>10</sup> وكذا في قوله -عز وجل- في سورة البقرة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾<sup>11</sup> قال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ وأنا أذكر هذه الآيات لعلها إن شاء الله أن تكون نبراسا لي ولإخواني إن شاء الله ممن يستمعون إلينا في هذه الكلمات، لعلها إن شاء الله تكون مفتاحا إلى الخير ونبراسا إلى الخير، أقول يا إخواني وأخواتي كل علم لا يورث عملا فهو مباحد عن رب العزة -تبارك وتعالى-، ينبغي على العبد أن يكون حريصا على التقرب إلى الله -عز وجل-، والازدياد من العمل، كما يحرص على الازدياد من العلم.

ثم قال -رحمه الله تعالى-:

[المتن]

الثالثة: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

[الشرح]

أي الدعوة إلى ماذا؟ إلى العلم، فالإنسان لابد أولا أن يتعلم فيبدأ بالعلم، فإذا تعلم فلا بد له أن يعمل بما تعلم، الإنسان إذا تعلم فلا بد له من أن يعمل، وإذا عمل بما تعلمه فإنه يجب عليه حينئذ أن يبلغ هذا العلم إلى غيره ممن يحتاج إليه، فيكون هذا الإنسان داعيا إلى الله -عز وجل-، وهذه الدعوة إلى الله -عز وجل- هي سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وسبيل

<sup>10</sup> [الليل: 5، 6، 7، 8، 9، 10]

<sup>11</sup> [البقرة: 10]

أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وأما من انحرف عن دعوة النبوة وعن سبيل النبوة فإنه لا يراعي حرمة الدعوة إلى الله -عز وجل-، ولا يلقي بالا ولا اهتماما للدعوة إلى الله -عز وجل-، فالله -سبحانه وتعالى- يقول كما في سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾<sup>12</sup> ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾: أي سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: لا أدعوا إلى غيره. وإن شاء الله يأتي معنا مزيد من الكلام إن شاء الله في الدعوة إلى الله -عز وجل- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، ولا بد للداعية أن يكون أولا أن يدعو إلى الله -عز وجل-، فلا يدعوا إلى جاه، ولا يدعوا إلى مال، لا يدعوا إلى نفسه، ولا يدعوا إلى غيره، ولا يدعوا إلى مخلوق، لكن يدعوا إلى الله -عز وجل- وحده -جل في علاه- ودعوته هذه لا بد أن تكون مرتكزة على بصيرة، والبصيرة هي العلم.

قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يكون على السبيل التي سار عليها النبي صلى الله عليه وسلم. والله -عز وجل- إنما بعث الرسل لأجل الدعوة إلى الله -عز وجل-. الله -سبحانه وتعالى- أقول وأكرر إنما بعث الرسل لأجل الدعوة إلى الله -عز وجل-، فإن قال قائل: إنما بعث الله -عز وجل- الرسل لأجل التوحيد، من أجل إقامة التوحيد، فنقول: إقامة التوحيد لا تكون إلا بالدعوة إلى الله -عز وجل-، فالدعوة إلى الله -عز وجل- هي الدعوة إلى التوحيد لله -عز وجل-، وبقية الأعمال وبقية الأشياء هي تابعة لتوحيد الرب -جل جلاله تقديس في علاه سبحانه-، قال: ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: فإذا أردت يا أيها المسلم، يا أيها السني السلفي، إذا أردت أن تكون على سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى صراط النبي صلى الله عليه وسلم،

<sup>12</sup> [يوسف: 108]

فلا بد لك أن تتسلح بالتوحيد أولاً كما قال: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾، ولا بد لك أن تتسلح بالعلم ثانياً كما قال: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، ثم لا بد لك أن تكون من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وممن يتبع النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال في آخر الآية: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فتره الله - عز وجل - قال: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فالنبي صلى الله عليه وسلم نزه ربه - عز وجل - وسبحه - عز وجل -، أي أمر الله - سبحانه وتعالى - النبي صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والتتريه لله - عز وجل -، وذلك لأن سبيل النبي صلى الله عليه وسلم والسبيل التي وضعها رب العزة - تبارك وتعالى - بعيدة عن السُّبُل البدعية والسبيل الشريكية، بل هي السبيل التي تدعو إلى الله والسبيل التي تكون على بصيرة وهي سبيل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأتباع الرسل من قبله عليهم الصلاة والسلام.

قال - رحمه الله تعالى -:

[المتن]

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ

[الشرح]

وهذا مقام عظيم هذا، الصبر على الأذى في العلم، هذا مقام الرسل ومقام الأولياء والصالحين الذين يصبرون على العلم الشرعي، والذين يصبرون على العمل بالعلم الشرعي، والذين يصبرون على الدعوة إلى العلم الشرعي. والصبر أولاً أقول الصبر:

● هو حبس النفس عن التسلخ.

● وحبسها على فعل الطاعات.

● وحبسها عن فعل المحرمات.

الصبر هو حبس النفس عن التسخط، والتسخط يكون من أقدار الله -عز وجل-، أن يتسخط الإنسان من أقدار الله -عز وجل-، فالصبر هو حبس النفس عن التسخط من أقدار الله -عز وجل-، وحبسها على فعل أوامر الله -عز وجل-، وحبسها عن فعل النواهي التي نهى عنها ربنا -تبارك وتعالى-. وكما أقول الناس يتفاوتون في الصبر، والصبر هو هذا الموطن، هو موطن أولياء الله -عز وجل- الذين يصبرون على دين الله -عز وجل-، مهما صادفهم مما قد يتلون به في طريق الدعوة إلى الله، أو في طريق التعلم لدين الله -عز وجل-، أو في طريق العمل بدين الله -عز وجل-. فالصبر ولا شك هو مقام عظيم، وقد أفرد الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- لذلك كتابا سماه "عدة الصابرين"، والصبر ولا شك هذا يكون مما يرتفع به مقام العبد عند الله -عز وجل-، بل هو من الأسباب التي ينال بها العبد الإمامة في دين الله -عز وجل-، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>13</sup> فلما صبروا، وآمنوا، وأيقنوا بالله -عز وجل-، وبآيات الله -عز وجل-، أورثهم ربهم -عز وجل- تلك المترلة العالية، فجعلهم أئمة من أئمة الدين. ولذلك قد اشتهر عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أنه قال: "بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين" وابن القيم -رحمه الله تعالى- لما تكلم عن هذه المراتب الأربع في كتابه زاد المعاد ذكر كلمات جميلة وقال -رحمه الله تعالى-: "فإذا استكمل العبد هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا" طبعا الرباني كما فسره ابن عباس: هو الذي يربي الناس على صغار العلم قبل كباره، صغار العلم الذي يحتاجون إليه قبل كبار العلم، قبل المسائل المشككة والمسائل الكبيرة التي لا يحتاجون إليها. يقول -رحمه الله-

<sup>13</sup> [ السجدة: 24 ]





ذكر مقولة الإمام الشافعي، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أي هو الذي يراد به الدعوة إلى الله - عز وجل -، والتواصي بالصبر: أي يوصي كل أحد صاحبه بالصبر، ولا شك أن الإنسان يوصي نفسه قبل أن يوصي غيره بالصبر على العلم، وعلى العمل به، وعلى الدعوة إليه.

### [المتن]

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ذكر المصنف قول الشافعي: "لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَّتْهُمْ".

### [الشرح]

قد يستشكل مستشكل أن هذه السورة لا تكفي لبيان شرائع الإسلام، قد يستشكل مستشكل فيقول: هذه السورة لا تكفي لبيان شرائع الإسلام سورة العصر، ولكن نقول ليس مراد الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- أن هذه السورة قد احتوت على جميع تفاصيل شريعة الإسلام، ليس هذا مراده -رحمه الله -، ولكن مراده -عليه رحمة الله تعالى- أن هذه المسائل الأربعة المذكورة في هذه السورة هي التي يتفرع عليها دين الإسلام وشريعة الإسلام، تتفرع شريعة الإسلام على هذه المسائل الأربعة، فالمعارف الثلاث الأولى هي شاملة لكل الإنسان في معرفة العبد ربه، ونبيه، ومعرفة دين الإسلام، هذه كلها شاملة لشرائع الإسلام، فإذا تعلم الإنسان هذه الثلاث عمل بها، فحقق هذا الدين في نفسه، فإذا حققه في نفسه دعا إلى الدين، فتحقق هذا الدين في غيره، فإذا تحقق هذا الدين في غيره فوجب عليه أن يصبر. ولذلك يقول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- كما في مجموع الفتاوى لما ذكر مقولة الشافعي قال، قال شيخ الإسلام: "وروي عن الشافعي -رضي الله عنه- أنه قال: لو فكر الناس كلهم -نقل شيخ الإسلام مقولة الشافعي بعبارة أخرى يقول- روي عن الشافعي -رضي الله عنه- أنه

قال: لو فكر الناس كلهم في سورة والعصر لكفت هؤلاء الناس هذه السورة. قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- وهو كما قال، فإن الله -جل وعلا- أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمنا صالحا، يقول شيخ الإسلام: "فإن الله -جل وعلا- أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمنا صالحا، ومع غيره موصيا بالحق وموصيا بالصبر". لعلنا نتوقف هنا أو بقيت هذه العبارة الأخيرة من كلام البخاري لعلنا ننتهي إن شاء الله من هذه العبارة الأخيرة من كلام البخاري ثم نقف إن شاء الله. ثم ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- مقولة البخاري قال:

### [المتن]

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ -: "بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ". وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾<sup>15</sup> ، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

### [الشرح]

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- مقولة هذا الإمام المسدد الموفق -رحمه الله تعالى- أمير المؤمنين في الحديث قال: "الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ": أي أن البخاري -رحمه الله تعالى- جعل بابا في كتابه الصحيح، صحيح البخاري، جعل فيه بابا: العلم قبل القول والعمل، سما هذا الباب "العلم قبل القول والعمل" أو بعبارة أخرى هذا باب سوف نذكر فيه العلم قبل القول والعمل.

<sup>15</sup> [محمد: 19]

هنا فائدة: العلم إذا أطلق فإنه يُراد به العلوم الشرعية، ولا يراد بذلك علوم الدنيا، إنما يراد العلوم الشرعية لا علوم الدنيا، قال: العلم قبل القول والعمل، قبل أن يقول الإنسان وقبل أن يعمل فعليه بالعلم قال: "وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، فاستدل بهذه الآية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وكما سيأتي معنا إن شاء الله أن لا اله إلا الله معناها -معنى لا إله إلا الله- لا معبود بحق إلا الله، وسنأتي إن شاء الله لاحقا إن شاء الله نتكلم عن تفصيل هذه الكلمة إن شاء الله قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فبدأ رب العزة -عز وجل- بالعلم قبل أن يذكر العمل، وهو قد ذكر هنا الاستغفار قال: "فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ". ولذلك نقول مقولة جميلة تروى فيما يحضرنى الآن أنها عن سفيان بن عيينة عليه -رحمة الله تعالى- كان يقول: "من فسد من علماءنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى" الله -سبحانه وتعالى- قد امتدح نبيه وقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾<sup>16</sup> فنفى عنه الضلال، ونفى عنه الغواية، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل بعلم صلى الله عليه وسلم وكان أكمل الناس علما بالله -عز وجل-، والسبب في إيراد أثر ابن عيينة في قوله: "من فسد من علماءنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى" ذلك أن اليهود كانوا يعلمون ولا يعملون، وأن النصارى فكانوا يعملون ولا يعلمون، اليهود كانوا يعلمون ولا يعملون لم يكن عندهم عمل، وأما النصارى فكانوا يعملون ولا يعلمون. ولذا أنا أذكر فائدة مهمة لطالب العلم، لكل من سلك طريق العلم، فإن كثيرا من طلاب العلم يقرأ في كثير من السور كسورة البقرة، وسورة المائدة، وبعض السور الطوال، فيمر على آيات فيها ذكر قصص اليهود، فالواجب على طالب العلم أن يقف وقفات كثيرة، وخصوصا مع الآيات

<sup>16</sup> [ النجم: 2 ]

التي وردت في ذكر اليهود، فإن اليهود قد كانوا ممن يعلمون ولا يعملون، وقد ذمهم الله -  
تبارك وتعالى- على ذلك في مواطن من كتابه، فالذي ينبغي من طالب العلم أن يقف مع هذه  
الآيات التي فيها ذكر اليهود وقفات مع نفسه، وكذا عليه أن يقف مع الآيات التي فيها ذكر  
النصارى، وذلك أن النصارى كانوا يعملون ولا يعلمون، ولا شك أن الذي فيه اليهود من  
الشر العظيم والله -سبحانه وتعالى- قد قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>17</sup>. لا أدري لعل انتهى الوقت معنا  
لكن هذا التعليق إن شاء الله ونقف إن شاء الله، فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم  
النصارى، هذا والله اعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

<sup>17</sup> [الفاتحة: 6، 7]